رداء سُليمان

مجموعة قصصية

مريم توركان

الإهداء

إلى الغالية ابنة الغالية

فتاةٌ رائعة وسامية

عزيزةٌ جميلة

مرحةٌ نبيلة

إلى ناتالي

ذات المقام العالي

لتعلمي يا بُنيّة

كوكي لمريم هدية

رزقنيها ربّ البَريّة

فلنِعمَ الأُمّ أُمّكِ

ضعيها بقلبكِ

هي رفيقتكِ وصاحبتكِ

هي حبيبتُكِ ومُحبّتُكِ

هي أغلى ما تَملُكِ

هي تاجُ رأسكِ

ناتالي طيّبة

رقيقة ومُؤدبة

حلوة ومُهذبة

رَبّي يحفظك لكوكي

ويفرّح قلبها بيكِ

ولا تحزن يوم عليكِ

يجعل أيَّامكم سعادة

فرح وهنا وزيادة

ناتالي سُكّراية

بنوتة قمراية

كوكي بتحبّها

حبيبتها وبنتها

ناتالي شطّورة

مين زيّها.

مريم توركان

الفهرس:

1_سعادة في بيتِ أبيها

2_عِبْرَة

3_أبو أهله

4_شرف ديّوث

5_رداء سُليمان

6_ليتَ الزمانُ يعودُ يومًا

7_بنو امرأة

8-فاطمة الأمينة

1_ (سعادة في بيتِ أبيها)

تزوجَتهُ فقيرًا فصبرت عليه وكافحت معهُ، أنجبا أربعة أبناء، رَبّتهم خير تربية، وظلّت ترعاهم حتّى أُصيبَت بمرضٍ ماتتْ على إثره.

اليوم الثاني من أكتوبر لعام ألف وتسعمائة وثمانون.

دفنها ورثاها ثُمَّ عَادَ لأبنائهِ الصِغار.

أبي أين أُمّي؟

واريتُها الثَرى ابنتي!

آهٍ على فِراقكِ أُمّي.

الأبّ بعدما ضَمّها لصدره: سعادة كوني قوية، فلا سَند للبيت غيركِ بعد أُمّكِ؛ فَلتَصبري لأجل إخوتُكِ الصِغار.

سعادة ذارفةً جَمرُ قلبها في دَمعِها: حسنًا أبي.

الأبّ بصوتٍ مُختنق أشبه بالبُكاء: والآن لتجلسي بجوار إخوتُكِ ريثما أُعِدَّ لكم الطعام.

سعادة: دعني أُساعدك أبي.

الأبّ بصوتٍ خافت: يكفي تعبكِ طِيلة النّهار فأنتِ لم ترتاحي بعد بُنيّتي.

سعادة: كما تُريدُ أبي.

دلفت غُرفة المعيشة حيثُ إخوتها الصِغار يتحدّثون.

سعادة أينَ أُمّنا؟

لم تستطع أنْ تُجيبهم فصمتت.

سعادة مَالَكِ شاردة؟

سعادة: نَعم مهدي.

مهدي: أينَ أُمّنا؟

سعادة وقد تساقط دمعها: ذهبت لخالِقها.

مهدي: كيف ذهبت إلى اللَّهِ دونَ أنْ تُخبرنا؟

سعادة: حينَ تَكبُر ستعلم.

مهدي: إذًا مَاتَتْ أُمُّنا.

سعادة بعدما اِجهشّت في البكاء: باللَّهِ عليكَ مهدي لتصمُت فكلامُكَ يَقطَعُ داخلي.

مهدي رابتًا على كَتفِها بحنان: أُختي أنا لم أَعُد صغيرًا فقد بلغتُ العاشرة، وأتقطعُ مِثلكِ، لكنَّني سأتوحشُ أُمّي؛ ثُمَّ بَكى وبَكى غانم وبَكت ليلى لبُكائهما.

سعادة بعدما اِحتضنتهم: لا عليكم.. سنراها حينَ نذهب إلى ما ذهبت إليه؛ فلا بُدَّ أنْ نصبر كما أخبرتنا في مرضها الذي ذهبت به.

فكفكفوا دموعهم ثُمَّ أخذوا يُحَدِّثونَ بفضلها، وبما عَلَّمَتهم حتّى ناداهم أباهم: أبنائي فلذاتي قد حَضرَ الطعام فهيّا لنتناوله.

نَظَرَ الأبّ لأبنائهِ ثُمَّ أخفى دَمعةً كادت أنْ تسقط من عينهِ وأضاف: لا حول ولا قوة إلَّا باللَّهِ العليّ العظيم، هكذا حالُ الدنيا فكُلّنا ضيفًا عليها، مُنذُ سبعةَ عشر عامًا كانتْ أول ليلة لأمّكم مَعي؛ فقد تَزوجنا في هذا البيت الذي لم يكن بهذا الترتيب وقتها، صَبَرت عليّ وتَحملَّتني وأعانتني على كُلِّ خيرٍ،ورَبَّتكم حبّذا تربية، ورحلت عنّا كنسمةِ هواء بعدما أُصيبت بالسرطان فرحمها اللَّه، وطيَّب ثراها، وبرحمتهِ في الجنّة نلقاها.

فردَّ الأبناء: اللهم آمين يا ربّ العالمين.

مَرَّت الأيَّام وبلغت سعادة ثمانيةَ عشر عامًا، واليوم الذِكرى الثالثة لوفاة والدتها.

سعادة ألم تَنتَهِ بعد؟

سعادة: بلى قد اِنتهيتُ أبي ولكنَّني أُرتب العُلب.

الأبّ: رحمكِ اللَّهُ نادرة؛ فقد تركتِ لي شبيهتُكِ في كُلِّ شيء.

سعادة: رحمها اللَّهُ وبارك لنا فيكَ أبي.

الأبّ مُبتسمًا: هيّا فالنّاس تنتظرُنا، أخشى أنْ نتأخر عليهم.

سعادة: حسنًا أبي تفضل.

الأبّ: سَتركِ اللَّهُ ابنتي.

ثُمَّ خَرَجَ لِمَن دعاهم لبيته كما يفعل كُلَّما جاءت ذِكرى زوجتهِ الراحلة.

مهدي.. ليلى .. غانم .. هيّا لتتناولوا ما أَعددتُ لكم من حَلوى.

مهدي بعدما اشتمّها: يا اللَّه على طِيب رائحتها.

ليلى بعدما تذوقتها: شَهِيّةٌ كالعادة.

غانم وقد لَعِقَ أصابعه بعد تناول بعض الحَلوى: سعادة تُطهو لنا حَلوى السعادة.

سعادة فَرِحةً: بالهناءِ والشفاء.

جزاكِ اللَّهُ خيرًا بُنيّتي وعوّضكِ بالجنّة.

سعادة مُقبّلةً رأسُه: آمين وإيَّاكَ أبي.

مَرّت الأيَّام وأَنهَى مهدي تعليمهُ الثانوي مُلتحقًا بكلية الهندسة، وتزوجت ليلى من ابن جيرانهم وأنجبت ذكرينِ وأُنثى، والتحق غانم

بالثانويةِ العامّة بقريتهم، ولا زالت سعادة في بيت أبيها؛ رافضةٌ تركُ أبيها وأخويها كما فعلت أُختها الصغيرة ليلى.

سعادة أُريدُكِ في موضوعٍ هام.

تفضّل غانم، أَنْصِتُ لك.

غانم: أُختي وأُمّي وتاج رأسي، ما رأيُكِ أن تتعلّمي الكتابة ومن ثَمَّ القراءة؟!

سعادة وقد أخذتها الدهشة: أيصّحُ بعد كُلّ هذا العمر؟

غانم ضاحكًا: عُمرُ مَن؟.. ألا ترينَ نفسكِ؟

سعادة: ماذا تقصد؟

غانم: أقصد أنَّكِ مازلتِ صغيرة فلا تُكّبري نفسكِ كما أنَّ العِلمَ ليس حِكرًا على عُمرٍ بعينه، فالعِلم بالعقول لا بالأعمار!!

سعادة مُبتسمةً: هكذا إذًا، حسنًا.

غانم: والآن لتنتبهي معي.

سعادة: حسنًا.

ظلَّ غانم يُعلّمُ سعادة حتّى التحق بالجامعة؛ بعدما أَنهَى مهدي دراستهُ وذَهَبَ لإحدى الدول العربية ليعمل بها، وفي تلك الأثناء مَاتَ الأبّ؛ تاركًا لهم ذِكراهُ العَطِرَة وبعض المال ليقتاتوا به.

سعادة.. سعادة أُريدُكِ أنْ تفرحي معي.

سعادة فَرِحةً: إذًا قد ظهرت نتائج الإختبارات.

غانم: أجل وقد حَصلتُ على تقدير إمتياز مع مرتبة الشرف.

سعادة بعدما أسمعت الجيران بصوت فرحها: مُباركٌ عليكَ حبيبي، والعُقبى للتعيين حضرة الطبيب غانم.

غانم باكيًا: لا تُنَاديني بالطبيب؛ فأنا ابنكِ غانم الذي ربَّيتيهِ وسَهرتِ معهُ في مذاكرته دونَ عِلمُكِ بها، والآن وَفَقَني اللَّهُ بفضل دعائكِ لي تاج رأسي ثُمَّ قَبَّل يداها.

سعادة باكيةً: رَحِمَ اللَّهُ أَبوينا فقد أَحسَنَا لنا التربية، وأنتَ أخي أحسنتَ إليَّ حينَ عَلَّمتَني كيف أكتبُ وأقرأ، فكأنَّك أزلت غشاوةً كانتْ تُعمِي عقلي عن عمله فجزاك اللَّهُ خيرًا.

مَرّت الأيَّام وعَادَ مهدي من غُربته كإجازة، قَامَ فيها ببناء البيت وزخرفته، وأعانَ أخيه غانم على الزواج من نور ابنة عميد كلية الطب

التي عُيَّنَ غانم مُعيدًا بها بعد تفوقه وحصولهِ على المركز الأول على سائر دُفعته، كما جَلب مهدي خادمة لتُريح سعادة من أعباء البيت.

سعادة أتُريدين شيئًا آخر أُمّي؟

سعادة: سَلَّمَكَ اللَّهُ لي مهدي فأنتَ لم تجعلني أحتاج شيئًا ، ولكنَّي أُريد!!

مهدي: فقط أَنطِقي بما تُريدي أُحضرهُ لكِ في الحال.

سعادة: أُريدُ أنْ أراك زوجًا وأبًا.

مهدي: ليسَ قبلكِ .

سعادة: بل قَبلي.

مهدي: باللَّهِ ليس قبل أنْ أطمئن عليكِ في بيت زوجٍ صالحٍ يُسعدكِ ويتَقي اللَّهَ فيكِ .

سعادة في خجلٍ: كما تُريدُ أبا حبيب.

مهدي: أبا حبيب؟

سعادة: أجل فأوّل ذريتك بمشيئة اللَّهِ سيكون حبيب لتكن أبا حبيب.

مهدي مبتسمًا: رَحِمَكَ اللَّهُ أبي، فقد كنت ذا حظٍ من اسمك.

سعادة: رَحِمَهُ اللَّه.

مَرَّ شهران وقد تزوجت سعادة من مهندسٍ زميل أخاها مهدي، وأقامت معهُ خارج مصر بجوار بيت أخيها مهدي؛ الذي تزوج بعدها بأسبوع وسافر بزوجتهِ للإقامة محلّ عمله، ولاحقًّا سافر غانم إليهم بزوجتهِ كإعارة لإحدى المستشفيات هُناك، ولم يَبقى منهم في مصر سوى ليلى.

أبا يحيى قد اِتصل بي إخوتي اليوم وأعادوا عليَّ دعوتهم لأُسافر إليهم؛ كي أقضي معهم بعض الوقت فما رأيك؟

أبا يحيى: الرأيُ لكِ أُمّ يحيى.

أُمّ يحيى: إذًا سأُسافر أنا وأنت والأولاد.

أبا يحيى: حسنًا.

مَرّت ثلاثة أشهُرٍ وحانَ موعد السفر.

موسى هيّا بِنَا لقد تأخرنا، أينَ أنتَ الآن أبا يحيى؟

أبا يحيى: إذهبوا أنتم إلى المطار وسألحقُ بكم.

أُمّ يحيى: كيف.. كيف أبا يحيى؟

أبا يحيى: كما سَمعتِ.

ذهبت بأولادها للمطار منتظرين قدوم أبا يحيى؛ الذي تأخر حتّى همّت الطائرة بالتحليق، فجاءها اِتصال من رقمٍ مجهول.

السلامُ عليكم.. أحضرتُكِ زوج موسى مدبولي؟

أُمّ يحيى: أجل ولكن أين هو؟

بعد لحظات صرخت ليلى بكل طاقتها: هذا ما جنيتُهُ بحقِّ نفسي لَيتني صبرتُ كما صبرَت أُختي سعادة ففي العجلة الندامة.. عليكَ اللَّهُ يا موساااا؛ فقد أصبتَنا بالعار.. إختلاس.. عليكَ اللَّه.

2_ (عِبْرَة)

الجو باردٌ اليوم ليتني أتيتُ بمِعطفي لأتوارى بهِ من البرد.

جَدّتي ما الذي أتى بكِ في هذا البرد؟

جئتُكِ بالمِعطف خشية أنْ يُصيبكِ البرد بأذى.

سَلِمَت يداكِ جدّتي وأدامكِ اللَّهُ لي.

ولي أدامكِ اللَّهُ فاطمة.

سأعودُ إلى البيت.. أتُريدينَ شيئاً بُنيَّتي؟

سلامتُكِ أُريدُ جدّة.

ثُمَّ واصلت فاطمة عملها في حقل العُمدة كمعظم فتيات القرية الفقيرات؛ فما تحصل عليه من هذا العمل تقتاتُ به هي وجدّتها لتبقيّا على قيد الحياة، التي فارقها أبواها مُذ كانتْ في العاشرة من عُمرها؛ فانتقلت كفالتُها إلى جدّتها لأُمّها وهي الوحيدة الباقية من ذوي رَحِمها، ظلّت الجدّة تعمل وتَكّد لتُلّبي لفاطمة إحتياجاتها من غذاءٍ ودواءٍ وتعليم، حتّى بلغت فاطمة الخامسة عشر حينها إزدادت المصروفات الدراسية وحتمًا ستزيد إنْ أكملت فاطمة تعليمها الثانوي، فأخرجتها من التعليم وأجلستها بالبيت ثُمَّ تَعِبَت بعدها ولم تستطع إكمال كَدّها

لتعولها، ومن هُنا بدأت فاطمة بالعمل في حقل العُمدة وإلى الآن، وقد تجاوزت العشرين من عمرها.

فاطمة بماذا تُتمتمين؟

بآياتٍ من القرآن الكريم.. بدرية ما رأيُكِ أنْ أُحفظّكِ ما حَفِظت؟

بدرية بصوتٍ حزين: ليتهُ يُجدي.

فاطمة بعدما ربتت على كَتفِها: ولِمَ لا؟

بدرية بعدما أطلقت زفرة حارّة: الهمومُ صديقتي.. الهموم قد سكنت الدماغ فأضعفت الذاكرة.

فاطمة في مرحٍ: وهل للحياةِ مذاق بلا هموم؟

بدرية مُتعجبة: ماذا تقولين؟

فاطمة: نعم، فالحياة بلا هموم مليئةٌ بالملل، ما

فائدة الحياة إنْ كانَ كُلّ ما تُريديهِ بحوزتك؟

لا فائدة، لرُبما لدى البعض، ولكنَّ الهموم تجعلُنا نُكافح ونُكافح ونُكافح آملين أنْ نُحقّق ما نُريد وهنا تكمن المَيزة؛ فيا حبيبتي نحن نؤجر على تعبنا ونُرضي أنفسنا بالسعي وعلى اللَّهِ الإتكال.

بدرية مُبتسمةً: صدقتِ حبيبتي.

فاطمة: والآن أوشكنا على الإنتهاء من عملنا هذا اليوم، وبعدهُ تأتينَ معي إلى جدّتي نتناول الطعام، ثُمَّ نقرأ بعضاً من آيات القرآن الكريم.

بدرية: حسنًا.

السلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاتهُ جدّتي.

وعليكنَّ السلام ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

فاطمة بعدما قبَّلت يُمنى جدّتها: جدّتي قد دعوتُ بدرية لنتناول الطعام سويًا ثُمَّ نقرأ بعضًا من القرآن الكريم.

تبسمت لها وأضافت: أشرقت الأنوار.. أهلًا وسهلًا ومرحبًا ببُنيّتي بدرية.

بدرية بعدما قبَّلت جبينها: أهلًا بكِ جدّتي.

فاطمة: سأُحضّر الطعام فلتكنَّ على إستعداد لإلتهامه.

الجدّة: سلمت يداكِ بُنيّتي.

بدرية في وجلٍ: جدّتي أُريدُ أنْ أُخبركِ بشيءٍ فهلّا سمحتِ لي بذلك؟

الجدّة: أجل على الرُحب بُنيّتي.

بدرية: جدّتي أتعرفينَ مراد بيه الذي يقطن قرب مدخل القرية ببيته المزخرف؟

الجدّة: أجل عَرِفتهُ مراد بيه ابن الحاج هشام _رحمهُ اللَّه_ لكنْ لماذا تسألين؟

بدرية: لديه ابنٌ وحيد يكبُرُنا بسنوات وابنة تقربُ من عمرنا.

الجدّة: نعم أعلمُ ذلك.

بدرية: منذُ فترة وأنا أرى ابنه هشام يترقب فاطمة عند عودتها من الحقل!!

الجدّة: كيف لاحظتِ ذلك؟

بدرية: عندما يأتي بسيارتهِ ثُمَّ يتوقف منتظرًا خروجها من الحقل ليتبعها بسيارتهِ مُبطِئًا القيادة.

الجدّة: مُنذُ متى؟

بدرية: مُنذُ شهرينِ تقريبًا.

الجدّة: وفاطمة ما رأيُها برأيك؟

بدرية: هي تغفلُ ذلك ولا تهتم بشيء.

الجدّة: نِعمَ البنتُ فاطمة.

بدرية: حفِظها اللَّه.

فاطمة مداعبة: ها قد جاء الطعام ثُمَّ وضعتهُ على المائدة وأضافت.. هيّا لنلتهمهُ اِلتهامًا.

تناولنَّ الطعام، ثُمَّ أخذت فاطمة تقرأ على بدرية بعضًا من قِصار سور القرآن الكريم، وبدرية تُنصت ثُمَّ تُردد ما سَمِعَت.

مَضى شهر على ذلك اليوم، وقد حَفِظَت بدرية الجزء الثلاثونَ من القرآن الكريم؛ نظرًا لإحتوائه على قِصار السور فأحبّت فاطمة أنْ تبدأ بهِ معها.

صباحُ الخير يا هذه.

صباحُ الخير.. نعم ماذا تُريدُ حضرتُك؟

ما اسمكِ؟

ماذاااا؟!

لا تُخطيء الفَهم.

اسمي بدرية.

وأنا هشام.

أُريدُ أنْ أسألكِ عن فاطمة؟

وماذا تُريدُ منها؟

أُريدُ أنْ أتحدّث إليها ونيّتي خير واللَّهُ يعلم.

بدرية فَرِحةً: أتنوي زواجها؟

هشام مُبتسمًا: أجل ولكنّي لم أتعرّف عليها بعد.

بدرية: لا تقلق، ففاطمة لا مثيل لها ذات دين وخُلق، وتتقي اللَّه، وطيّبة وحنونة وجميلة.

هشام: ما شاء اللَّهُ لا قوة إلَّا باللَّه.

بدرية: سأتركها اليوم وأذهب بمفردي بعد انتهاء العمل، فلتغتنم الفُرصة.

هشام: شكرًا لكِ بدرية.

وصلت الحقل وبدأت العمل دونَ أنْ توضح سبب تأخُرها لفاطمة.

فاطمة: بدرية لِمَ تأخرتِ اليوم؟

بدرية: لا تشغلي بالكِ حبيبتي.

اِنتهى العمل وحان وقت العودة إلى البيت.

بدرية على عجلٍ: سامحيني فاطمة فسأذهب لديار العُمدة فزوجته تُريدُني في خَطبٍ ما.

فاطمة: لكِ العُذر أُخيّتي.. أأنتظرُكِ؟

بدرية: لا فلرُبما تأخرتُ فلتذهبي أنتِ ولتُبلّغي جدّتُكِ منّي السلام.

فاطمة: حسنًا.. كما تُريدين.

بِسْمِ اللَّه، توكلّتُ على اللَّه، ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّهِ العليّ العظيم.

من فضلكِ يا فاطمة.

استدرات لتَرى ثُمَّ سألته: مَن أنت؟.. وكيف عَرفت اسمي؟

وماذا تُريدُ منّي؟

أنا هشام ابن مراد بيه، وكيف لا أعرفُ مَن اِشتهرت بالأخلاقِ والتقوى والجمال، أُريدُ إخبارك بأنَّي أُحبّكِ وأذوب عِشقًا فيكِ.

فاطمة مُتلعثمة: ماذا؟.. ماذا تقولُ أنت؟

هشام: أقولُ ما يُخبرُني بهِ قلبي فلتسمعي نبضاتهِ مقتربًا منها.

فاطمة غاضبة: فلتتقي اللَّهَ يا هذا.

هشام: وماذا فعلتُ؟ .. أُريدُكِ زوجتي.

فاطمة: ماذا.. ماذا قلت باللَّهِ عليك؟

هشام: قلتُ أُريدُكِ زوجتي.

فاطمة: ولماذا لم تأتي لجدّتي طالما أردتني زوجتُك؟

هشام: سأفعل ولكنْ عندما أتأكد من حُبّكِ لي.

فاطمة: وكيف يحدثُ هذا؟

هشام: عندما نتعرّف على بعض أكثر وأكثر.

فاطمة: نتعرّف؟.. فأنت تعرفُني وأنا قد سمعتُ عنك.

هشام: ليسَ هذا ما قصدت.

فاطمة: إذًا فماذا قصدت؟

هشام: أقصد أنْ نتأكد من ميل قلبينا لبعض وهذا سيحدث مع الوقت.

فاطمة زاجرة: عن أيّ وقتٍ تتحدث هشام.. المعذرة فأنا لستُ كما تظن.

هشام: لم أقصد ما وصلكِ ، قصدتُ أنْ نتقابل ولو مَرَّة كُلّ أسبوع؛ كي تتآلف نفسينا ونتعود على بعضينا.

فاطمة تُفكّر.

هشام: بماذا تُفكّري، لا تخافي فأنتِ حبيبتي ورَّوحي، وستكونينَ زوجتي، وأُمّ أبنائي.

فاطمة في خجلٍ: باللَّهِ عليك لا تَقُل كلامٍ كهذا، فأنا لا أحتملهُ؛ إذ لم أسمعهُ من قبل.

هشام: ستسمعينهُ من قلب حبيبك وتُحبّيه.

فاطمة: دعني أذهب الآن.. أخشى التأخُر على جدّتي.

هشام مُبتسمًا: حسنًا.. ولكنْ لا تُخبري أحدًا بشيءٍ قبلَ أنْ أتقدّم لكِ رسميًا.

فاطمة: ولا حتّى جدّتي.

هشام: ولا جدّتُكِ كي تتفاجأ حينَ أتقدمُ لكِ.. أفهمتِ؟

فاطمة: حسنًا إذًا.. سلام هشام.

هشام: لا أردُ عليكِ.

فاطمة: ولِمَ؟

هشام: قولي سلام حبيبي.

فاطمة وقد اِحمر وجهُها: لا قبلَ أنْ تعقد عليَّ ثُمَّ أسرعت إلى البيت.

مَرّت الأيَّام وأضحى هشام حبيبًا لفاطمة قُرابة خمسة أشهُر.

هشام: فاطمة أُريدُكِ في موضوعٍ هام.

فاطمة: خيرًا هشام.

هشام: لا يُمكننا الحديث هُنا.

فاطمة: ولِمَ هشام؟

هشام: لأنَّني سأُحدّثُكِ بخصوص زواجنا ومستقبلنا وأخشى أنْ يرانا أحد.

فاطمة: إذًا ماذا سنفعل؟

هشام: تأتينَ معي إلى البيت.

فاطمة بعدما زجرته: ماذا تقولُ أنت؟

أنا لن آتي بيتك إلَّا بعد العقد عليّ.

هشام: أهكذا تظنينَّ بحبيبك الظنون؟.. سامحكِ اللَّهُ حبيبتي.

فاطمة: إذًا ماذا تقصد؟

هشام: أقصدُ أنْ نتحدّث سويًا عن مستقبلنا دونَ خوفٍ من أنْ يرانا أحد.

فاطمة: وأُمّك وأبيك وأُختك.

هشام: سيذهبون إلى بيتِ عمّي بالمركز في تمام الخامسة مساءً.

فاطمة: وكم سنتحدّث نحن؟

هشام: نصف ساعة على الأكثر.. أكثيرٌ على مستقبلنا والتخطيط لهُ نصف ساعة مِنكِ؟

فاطمة: وبعدما نتحدّث؟

هشام: تذهبينَ لجدّتُكِ وبعدها بأيَّامٍ أتقدمُ لكِ.

فاطمة: حسنًا.. فليوفقني اللَّهُ إنْ كانَ بهذا المشوارِ خيرًا.

جَمَعَ أصحابه وأخبرهم بأنَّهُ قد وَفّى بوعدهِ قائلًا: أيُّها الشباب أُريدكم اليوم ببيتي فلقد أحضرتُ لكم ما تطيب لهُ أنفسكم.

سأل أحدهم: وماذا أحضرت يا هشام؟

هشام: ستأتي إلينا فتاة بعد نصف ساعة من الآن، أُريدُ أنْ نعيش حياتنا معها كما نُريد.

سأل آخر: هشام أحقِّا ما تقول؟

أجل وسترونَ بأعينكم وتلمسون بأيديكم.

وهُنا عَلا صوت رنين هاتفهِ الذكي اِستأذنَ منهم ليَرُدَّ عليه.. نعم أُمّي ماذا تريدين؟

الأُمّ: قد اِتصلتُ بك مِرارًا ولم تنتبه.

هشام: أجل لأنّي مشغول.

الأُمّ: فلتعلم أنَّ أباكَ قد تعب وتَمَّ نقلهِ للمستشفى.

هشام: أنا آتٍ إليكِ أُمّي.

يا رفاق ستأتيكم الفتاة فلتفعلوا بها ما تشاءون كما تشاءون حتّى آتيكم لأفعل بها ما فعلتم، أمَّا الآن فسأذهبُ، البيتُ لكم والفتاة مِلككم.

جدّتي ما بكِ؟ .. ألم تهدأ الحُمى بعد؟

الجدّة: الحمدُ لِلَّهِ على كُلّ حالٍ فاطمة.

فاطمة: سأذهب لإحضار الطبيب.

الجدّة: وعَلَام بُنيّتي؟.. لا تُتعبي نفسكِ فأنا بخير.

لم تهتم فاطمة بكلام جدّتها وذهبت إلى الوحدة الصحيّة بقريتها وأحضرت الطبيب الذي أمر بنقلها إلى المستشفى؛ لتلقي الرعاية الصحيّة هُناك، ورافقتها فاطمة.

ذهبَ هشام إلى المستشفى وما أنْ وصلَ حتّى سألتهُ والدته: أين أُختك؟

هشام: لا أدري أينَ هي.. أليست هُنا؟

الأُمّ: لا ليست هُنا، فحينَ لم ترُد على هاتفك أرسلتها إلى البيت؛ كي تجدك.

هشام مذعورًا: ماذاااااااا.. البيت؟

ثُمَّ ذهبَ مُسرعًا بقيادة سيارتهِ حتّى وصلَ، فَتَحَ الباب ودلفَ ليلقى المفاجأة؛ أُخته مُلقاةٍ على الأرض غارقةٌ في دمائها، بعدما فَعَلَ بها أصدقاءهُ ما يشاءون كما أمرهم هو.. أخذ يصرخ ويصرخ ويصرخ حتّى أدركهُ بعض الرجال، فغطوا أُختهُ ورافقوهُ في الذهاب بها إلى المُستشفى، وهُناكَ عَلِمَ بوفاتها.

مرّت الأيَّام وعَلِمَت فاطمة أنَّ منَع اللَّهِ عطاء؛ فقد أعطاها الستر وحفظ الشرف حينَ قَدّرَ منعها عن موعد هشام، كما أيقنت بأنَّ الحُبّ الذي يبدأ بغيرِ رضا اللَّه مُنتهاهُ الحسرة والندم، فَحَمِدَت ربّها كثيرًا على ما قَدّر.

3_ (أبو أهله)

دلفَ بهدوءٍ لثِقلِ حمله ثُمَّ وضعَ ما يحملهُ على الطاولة وألقى السلام بصوتٍ مسموعٍ فجاءوهُ تباعًا.. يا قوم هَلُمُّوا إليَّ فقد جاءت طلباتكم.

وعليكم السلام.. أُمّي قد جاء يحيى.

يحيى أشرقت الأنوار.

حسنًا.. فاطمة، زهران تَرَيَثَا.

يحيى: أُمّي كيف حالُكِ حبيبتي؟

الأُمّ: بخيرٍ والحمدُ لِلَّهِ وأنتَ بُنيّ؟

يحيى: بخيرٍ ما دُمتم بخيرٍ أُمّ يحيى.

زهران: أُستاذ يحيى أينَ أشيائي؟!

يحيى مُبتسمًا: تفضّل بشمهندس زهران.

أخذ زهران أشياءهُ تفحصها ثُمَّ احتضن يحيى وأضاف: لا حرمنا اللَّهُ إيَّاكَ أخي.

يحيى: طبيبة فاطمة تفضّلي أهذا ما طلبتِ؟

تَفَحصَتهُ ثُمَّ قبَّلت يحيى وأردفتْ: دُمتَ لي أخًا وسندًا وتاجًا على رأسي.

الأُمّ : آمين يا ربّ العالمين.

يحيى مُقبّلًا رأس أُمّه: مِسكُ الختام أُمّ يحيى.. هذه أشياؤكِ تفضّلي.

الأُمّ: سَلِمتَ بُنيّ، لكنَّي لم أطلب شيئًا.

يحيى: وهل أجهلُ ما ينقُصكِ أُمّي؟!

الأُمّ: جزاك اللَّهُ خيرًا بُنيّ.. يحيى أَمَا آن لك أنْ تتزوج؟

يحيى: بعدَ أنْ يتخرّج زهران من كلية الهندسة وتتخرّج فاطمة من كُلية الطب سأفعل.

الأُمّ: أعانك اللَّهُ ولدي وزادك من فضله.

مَرّت السنون وتخرّج زهران ليُصبح مهندسًا ثُمَّ التحق بوظيفةٍ في إحدى شركات المقاولات، وبقيَ القيل لتتخرّج فاطمة من كلية الطب، ولا زالَ يحيى يعمل دونَ كَللٍ أو مَلل، ولم يُفكّر في الزواج.

يحيى صباحُ السعادة.

صباحُ الخير حسن.

حسن: يحيى ألا ترحم نفسك من العمل ليل نهار؟

يحيى: وما المُتعبُ في ذلك؟

حسن: أنت هُنا تحملُ هَمَّ الشركة كُلّهُ على عاتقك وكأنّهُ لا يوجد مُحاسب غيرُك، وهُناكَ تحملُ هَمَّ البيت كُلّهُ مُنذُ وفاة أبيك وإلى الآن.

يحيى: وماذا تُريدُني أنْ أفعل؟

حسن: فَكّر بنفسك قليلًا، يومًا ما سيتزوج زهران وكذلك فاطمة ووالدتُك لديها معاشُ أبيك، إذًا أينَ أنتَ مِن كُلّ هذا؟

يحيى: أنا فَرحةُ زهران وفاطمة، وأملُ أُمّي، وهذا يكفيني.

حسن: حسنًا إذًا.. كما تُريد.

زهران أتأذنُ لي بالدخول؟

تفضّلي يا طبيبة.

أودُّ الحديثَ معك فهل لديك وقت؟

نعم، تحدّثي كيفما شئتِ فاطمة.

فاطمة: زهران أَمَا آن لنا أنْ نُريحَ يحيى؟

زهران: كيف؟

فاطمة: نُريحهُ من مصروفاتنا، فأنتَ الآن موظفٌ ولكَ راتبٌ شهري، وأنا شهرين وسأتخرّج وأعمل، وأُمّنا لديها معاشُ أبينا.

زهران: الحقُّ معكِ فاطمة، فمذ تُوفيَ أبانا ونحنُ في المرحلة الإبتدائية ويحيى مُتكفلٌ بنا، ولم يتركنا ولم يُفكّر حتّى في نفسه.

فاطمة: صدقتَ زهران، والآن لنُفكّر كيف نجعل يحيى يُفكّر بنفسه؟

زهران: الليلة على العشاء نعرض عليه فِكرة الزواج وكأننا نُمازحهُ.

فاطمة: اِتفقنا بشمهندس.

حَلَّ المساء وأتى يحيى ليجتمع بأُمّه وأخويهِ على مائدة الطعام.

يحيى وقد نظر لتنوع الطعام: سَلِمتَ يداكِ أُمّي.

الأُمّ: بالهناء والشفاء بضعة قلبي.

فاطمة: تفضّل الحساء أبا يزيد.

يحيى بعدما وضعَ الحساء جانبًا: أبا يزيد.. ماذا؟

زهران: ليسَ أبا يزيد بل أبا أهله كما يُلقبُهُ الجيران.

يحيى مُندهشًا: فاطمة.. زهران ما بِكما؟

فاطمة مُداعبةً: أُريدُ أنْ أُصبح عمَّةً أبا يزيد.

زهران مُنشكحًا: وأنا أُريدُ أنْ أراك عريسًا ليفرح قلبي.

يحيى: هكذا إذًا تُريداني أنْ أتزوج.

الأُمّ: ولِمَ لا حبيبي؟

يحيى مُبتسمًا: ليسَ قبل أنْ أُزوّج الطبيبة والبشمهندس.

فاطمة وزهران: ولكن.....

يحيى مُقاطعًا: قُضيَّ الأمر، والآن اسمحوا لي أنْ أخلُدَ إلى النوم، تُصبحونَ على خير.

ردّوا جميعًا: وأنتَ من أهله.

مَرّت الأيَّام على رفض يحيى لحديث أخويه ولكنَّهما لم ييأسا.

زهران: طبيبة فاطمة أتأذنينَ لي بالدخول؟

تفضّل بشمهندس.

زهران: فاطمة هذا راتبي كما اتفقنا تفضّلي.

فاطمة: أأخذت منهُ مصروفك؟

زهران: لا، فلديَّ مصروفي الذي أعطانيه يحيى.

فاطمة: حسنًا إذًا، وهذا ما ادّخرتهُ في الأشهُر الماضية؛ سنضعهم في هذا الصندوق ونضعهُ في خزينة ملابسي هذهِ حتّى يكتمل المبلغ الذي نُريد.

زهران: حسنًا إذًا.

انقضى عامان وتخرّجت فاطمة وتَعيَّنت مُعِيدَة بكلية الطب، وارتقى زهران في عملهِ وزاد مُرتبه.

فاطمة هيّا لنفتح هذا الصندوق.

حسنًا ها هو المِفتاح زهران تفضّل.

زهران: بِسْمِ اللَّهِ ماشاء اللَّه.

فاطمة: هيّا لنعُدّهم.

وبعد دقائق نظر إليها زهران وأضاف:معي خمسونَ ألفًا وأنتِ؟

فاطمة وقد أنهت عدّهم للتو: معي مائة ألف جُنيه، إذًا ماذا سنفعل؟

زهران: نُعطي هذا المبلغ ليحيى؛ كي يُعِدَّ به نفسهُ للزواج.

فاطمة: إذًا هيّا بنا إليه.

زهران: حسنًا.

دلفا غُرفة المعيشة حيثُ يحيى يتسامر مع والدته، وما إنْ رأهم حتّى هَشّ لهُما وبَشّ، وحيّاهما مُبتسمًا: أهلًا أهلًا بالطبيبة والبشمهندس أحبابُ قلبي.

وضعت فاطمة الصندوق على الطاولة أمامه ثُمَّ جلست عن يمينه وجلس زهران عن يساره.

نَظرَ إليهما ثُمَّ ضَمَهما إلى صدره.

فاطمة: يحيى أنتَ تعلمُ كَم نحنُ نُحبُكَ، ونرجو رضاك.

زهران: ولهذا قُمنا بجمع بعض المال في هذا الصندوق، ثُمَّ أمسك الصندوق وقَدَّمهُ ليحيى قائلًا: تفضّل هو لكَ، لتُعِدَّ نفسك للزواج في القريب العاجل، قد أعطيتنا عُمرك ومالك ومهما فعلنا فلن نَفِيَكَ بعضُ حقك.

فاطمة مُردفة: أجل.. ولنفسك عليك حقٌّ أنْ تتزوج، وحقّنا نحنُ أيضًا أنْ نفرح بكَ، ثُمَّ نظرت إلى أمّها سائلةً: أَم ماذا أُمّ يحيى؟

الأُمّ: الحقُّ معكما، حسنًا فعلتما، ثُمَّ نظرت إلى يحيى وقالت له: لا تردّ أخويك وأفعل ما أردنا ليرضى عنك ربّي.. بُنيّ لا تردّنا.

نظر إليهم يحيى مُبتسمًا: حسنًا أُمّي، فلتخطبي لي أنتِ وقبَّل رأسُها، ثُمَّ احتضن زهران وفاطمة وأضاف: الحمدُ لِلَّهِ أنَّ عمري لم يضع هدرًا.

وبالفعل خطبت له أُمّهُ فتاة ذات دِين، ثُمَّ تزوجا بعد شهرين فكانت نِعمَ الزوجة لنِعمَ الزوج.

مَرَّ عامٌ على الزواج ووضعت سّارة زوجُ يحيى ما حملت به بعد ثلاثةُ أشهُرٍ من الزواج؛ ليُصبح يحيى أبا يزيد بدلاً من أبا أهله.

وبعد بضعة أشهر أسس يحيى وزهران شركة مقاولات وبناء وفتحَ اللَّهُ عليهما من الرزق ما جعل يحيى يُزوّج زهران ومن بعدهِ فاطمة، ثُمَّ سافر بأُمّهِ ليحُجّا بيت اللَّهِ الحرام.

4_ (شرف دَّيوث)

عانى واغتربَ لأجلِ زوجتهِ وولديه، فظلَّ يعمل في إحدى الدول العربية طِيلة عامين _كما نصحتهُ زوجته_ ثُمَّ أتى إجازة قضاها بمعيّتهم، وجَبَرَ خاطرهم بتحقيق ما أرادوا من تجديدٍ للبيت، وشراء قطعة أرضٍ زراعية.. وانتهت الإجازة وها هو مُسافر إلى حيثُ جاء.

أُمّ هاني إهتمي بالأولاد جيّدًا؛ فقد بلغ هاني السن الخطِرة (المراهقة) وبَقيَ القليل لبلوغ مرزوق هذه السن.

أُمّ هاني: لا تعتل همًّا أبا هاني فهما ولداي.

أبا هاني بعدما عانقهم وقبَّلهم أضافَ بصوتٍ مُختنق أشبه بالبُكاء: أراكم على خيرٍ ثُمَّ ذَهَبَ مُغادرًا.

لاحظَ هاني أنَّ والدتهُ قد تغيرت، وظَنَّ بها الظنون حتّى تأكدت ظنونه حينَ تَعَارَكَ مع أحد أبناء الجيران فقذفهُ بأُمّه، وأخبرهُ بأنَّها تفعلُ الفحشاء على فِراش أبيه، صُدِمَ ممّا سَمِعَ ولم يستطع الرد، أرسلَ لوالدهِ قائلًا: أبي نحنُ الآن أحوج ما نكونُ إليكَ فلتُدركنا قبل فوات الأوان.. قرأ الأبّ الرسالة النّصية الواصلة من ابنهِ ولم يُجب عليها.

لم ييأس هاني من أبيهِ وأخذ يُراسلهُ حتّى أخبرهُ ذات مَرَّة بما سَمِعَهُ من ابن الجيران، فكانتْ الصدمة الكُبرى لهُ حينَ غَضِبَ عليه أبيه، وهَدّدهُ بالطردِ من البيت إنْ تَحَدّثَ بشأنِ أُمّهِ مَرَّةً أُخرى.

تَزيّنت وتعطرت وارتدت ثوبًا جميلًا، ثُمَّ طهت طعامًا بعينهِ ووضعتهُ بغُرفةِ نومها، ونادت هاني لتُعطيهِ الأوامر: إذهب لأصدقائك ولا تأتي قبل منتصفِ الليل، ولا تَنسَ أنْ تأخذ معكَ مرزوق!

هاني بصوتٍ مُختنق أشبه بالبُكاء: أُمّي لماذا تُخرجيني وأخي من البيتِ كُلّ ليلة في ذاتِ الموعد؟

أُمّ هاني بعدما زجرتهُ: لا بارك اللَّهُ فيك، عليكَ بتنفيذ ما آمُرَكَ بهِ فقط دونَ تعقيب، أَفَهِمت؟

أم أُفهِمُكَ بيدي!!!

هاني مُتحسّرًا: فهمتُ أُمّي ثُمَّ ذهبَ وأخيه.

مرّت الأيَّام وأضحت أُمّ هاني حديث القرية بفِعلها ما يُغضِبُ اللَّه.

أُمّ إحسان.. أُمّ إحسان.

نعم أُمّ راتب.

أُمّ راتب بعدما جلست على عتبةِ بيتها: أَمَا عَلمتِ بما حَدَثَ في بيت شرف أبا هاني؟!

أُمّ إحسان: لا لم أعلم.

أُمّ راتب وقد مَطّت شفتاها: سَترَ اللَّهُ أعراضنا.. فزوجته قد جاهرت بالفُجر والبغضاء، والعياذُ باللَّهِ العليّ العظيم.

أُمّ إحسان وقد غَطّت وجهها خجلًا: لا حول ولا قوة إلَّا باللَّهِ العليّ العظيم.

أُمّ راتب: ليسَ هذا فحسب؛ فقد أنفقت مُدّخرات زوجها على الباغين نَظيرَ بغيّهم معها.

أُمّ إحسان بصوتٍ حزين: وأينَ أباها؟

أُمّ راتب: هي مِن قريةٍ مُجاورة؛ ذَهَبَ بعض الرجال إلى أبيها ليُخبروهُ بما تفعل ابنته.

أُمّ إحسان: وبماذا رَدَّ عليهم؟

أُمّ راتب: رَدَّ فِي لا مُبالاة "وما عساني أن أفعل؟ فقد خرجت مِن ذِمَّتي مُذ تزوجها شرف.. ولستُ ساذجًا كي أُضيّعَ ما بَقيَ مِن عُمري لأقتُلها وأُسجَن".

أُمّ إحسان: أخشى على نساءِ القرية منها.

أُمّ راتب بنبرةٍ ساخرة: أنتِ لا تعلمينَ صاحبتي أنَّ بعض نساء القرية هُنَّ مَن شجعنّها على فِعلِ ذلك، بعدما فجرنَّ وأرسلنَّ أزواجهنَّ إلى العملِ خارج مصر ليأتينَّ برجال من القُرى المُجاورة؛ ليفعلنَّ معهنَّ الفاحشة بمُقابل مادّي.

بَكَت أُمّ إحسان ثُمَّ أردفت: ألهذا الحد قد تغيّرت الأحوال؟!!!

أُمّ راتب: وأكثر فأنتِ غائبةٌ عنّا مُنذُ سنوات.

أُمّ إحسان: وسأغيبُ ثانيةً؛ حينَ يُنهي أبا إحسانٍ ما بينهُ وبين إخوته من خلافٍ بخصوص ميراث أبيه.

أُمّ راتب: يَسَّرَ اللَّهُ لكم الحال.

أُمّ إحسان: آمين وإيَّاكم أُمّ راتب.

تَزيّنت كعادتها ثُمَّ أمَرَت ابنها بالذهاب إلى أصدقائهِ فتفاجأت بعدم تنفيذهِ أمرها.

هاني لماذا لم تذهب كالعادة؟

هاني غاضبًا: ولن أذهب أُمّي.

أُمّ هاني: أتردّ عليَّ أمري؟

هاني باكيًا: لقد عَلمتُ بما تفعلي بمال زوجكِ وعلى فراشه.. أَمَا تستحينَ مِن اللَّه؟

ألم تُفكّري بي وبمرزوق حينَ يرانا النّاس، كيف ينظرونَ إلينا؟.. وهُم يعلمون بفعلتُكِ .

أُمّ هاني صارخة: أنتَ تقولُ لي هذا.

هاني: نعم، فلم أعُد صغيرًا ولن أرضى بأن أكونَ ديّوثًا مثلُ أبي شرف؛ الذي تَجاهلَ أفعالكِ،وما زال يرسلُ لكِ المال كي تُنفقيه على المُترددينَ عليكِ!!!

أُمّ هاني وقد صفعتهُ: أُخرج مِن بيتي.

هاني بكل قُواهُ: بل سأخرجُ من حياتكِ للأبد، ومِن الآن مَاتَتَ أُمّي، ولن تَحيا ثانيةً كما الدَمعة إذا سقطت مِن العين، وسأبدأُ حياةً جديدة في بلدٍ جديدٍ مع أُناسٍ طاهرينَ ولو بعضَ الشيء.

ثُمَّ تَحدَّثَ لأخيهِ الصغير البالغ من العُمر سبعة عشر عامًا: مرزوق فلتأتي معي ليَشُدَّ بعضُنا بعضًا ولنذهب بعيدًا عن هذا الدَنَس.

مرزوق باكيًا: سامحني أخي فأنا لا حاجة لي بمُغادرة القرية فلديّ كُلّ شيء.

هاني مُتهكمًا: أنت ابنُ شرف!!

ثُمَّ غَادَرَ القرية والدولة كُلّها.

مضى عام وحانت إجازة شرف.

حمدًا لِلَّهِ على سلامتُكَ زوجي الغالي.

شرف: سَلَّمَكِ اللَّه.

مرزوق قد اِشتقتُ إليك.

مرزوق بعدما عانقهُ: وأنا أيضًا أبي.

ولكنْ أين هاني؟؟

فخرية مُتلعثمة: قد ذهبَ إلى أحد أصدقائه في المركز مُنذُ يومين.

شرف: ولمَ؟

فخرية: لأنَّني طردتهُ من البيتِ حينَ رَفَعَ صوته عليَّ وكاد أنْ يَضربني.

شرف ناظرًا لمرزوق.

مرزوق باكيًا: لا أبي فقد.....

فخرية مُقاطعة: قد خبأتُ عليكَ أنَّ هاني فسدت أخلاقهُ؛ فأدمَنَ المُسكِرات وذَهَبَ خلف بائعات الهوى و.....

وهُنا صَرخَ مرزوق: لا وربُّ الكعبة، فأخي هاني رمزًا للرجولة وأهلًا للشهامة ومَحِلًّا للشرف، أبي أُمّي كاذبة فقد أغضبت ربّها، ولم تحفظك في نفسها ومالك ولا حتّى نحنُ.. أُمّي جلبت لنا العار أمام أهل القرية والقُري المُجاورة، أُمّي صفعت هاني حينَ وقفَ لها رافضًا بغيّها، وأنتَ تعلمُ ذلك أبي ولكنَّكَ لم تُحرّك ساكنًا.

شرف في لا مُبالاة: كدت أنْ آتي لقتلها لولا نصحني المقربون بأنَّ البيت سيُخرب فتركتها، ولم أمنع عنها المال لأجلكما أنتما لا هي و.....

قاطعهُ مرزوق: يؤسفُني أنْ أقولَ لكَ بأنَّ هاني أخي معهُ حقّ؛ فليس لكَ من اسمك نصيب، فأنت ديّوث لا شرف؛ وإنْ كان ديّوثًا مثلك فهكذا يكونُ شرفه ناظرًا إلى فخرية، ثُمَّ غَادَرَ مِثلُ أخيه.

نَظَرَ شرف بعينين مُحمرتينِ إلى فخرية، ثُمَّ أخرج من خزينتهِ مُسدسًا، وقبل أن يُطلق عليها سقطت على الأرض وسَالَ دمُها؛ هَروَلَ شرف لسُطحِ البيت حيثُ أُطلِقَ عليها منهُ، فكانتْ المُفاجأة.. قد رأى أباها يَهبِطُ إلى الشارع عَبرَ عمود الإضاءة العام.

5_ (رداء سُليمان)

وُلِدَ بريئًا من خَبَث الدُّنيا، طاهرًا من خُدعها، نظيفًا من مكرها؛ تُرى سيظلُّ هكذا أم سيُغير فطرتهُ النَقيّة كي يتعايش مع أهلها؟!

خالد حبيبي لماذا تجلسُ وحيدًا هكذا؟

خالد: لا شيء أُمّي.. فقط أُريدُ أنْ أختليَ بنفسي بعض الوقت.

الأُمّ: بُنيّ أراك تُحِبُّ العُزلة وهذا ليسَ جيّدًا لك.

خالد: لا تقلقي أُمّي، كُلُّ ما في الأمر أنَّي مُنشغلٌ بالتفكير في أمرٍ ما.

أُمّ خالد: وما هو بُنيّ؟

خالد: أُفكّرُ كيف سأعيشُ بهذه القرية التي لا تُناسبني و.....

أُمّ خالد مقاطعةً: ولِمَ لا تُناسبُكَ وذوي قُربتُنا هم جيراننا ولا غريب بيننا؟

خالد: أُمّي لا أقصد هذا ولكنْ ما قصدتهُ هو أنَّي لا أُحبُّ أنْ أكونَ بجوار مَن هم أكبرُ منّي عُمرًا وعملًا حتّى وإنْ كانوا ذوي قربتي.

أُمّ خالد: استَعِذ باللَّهِ بُنيّ، يا ليتَ للنّاس أقرباء كذوي قربتك، أنت في نِعمةٍ لا تعلمُ قدرها.

خالد: بل في نقمةٍ أُمّي طالما ذوي قربتي أحياء!

أُمّ خالد: بخٍ بخٍ على ما حملت بطني، أتُريدُ الهلاك لذوي قربتك؟

خالد: لا تقلقي أُمّ خالد، لا أُريدُ لهم الهلاك ولكنْ أُريدُ أنْ لا أُجاورهم أو يرحلوا هم.

أُمّ خالد مُنهارةٌ من البكاء: خالد أنتَ عاقٌّ لذويك مُذ كنتَ شابًّا وإلى الآن بعدما أصبحتَ راشدًا ولديك زوجة وأبناء لازلت تحقدُ عليهم.

خالد: وما عساني أنْ أفعل أُمّي؟

أُريدُ أنْ يظهر بيتنا كبيرًا ولو شكلًا، حتّى في هذا لا مكان لي بينهم؛ فبيوتهم شاهقة ضخمة شاسعة المساحة، يكاد مَن يراها يظنُ بيتنا أحد أعمدتُها.

أُمّي قَتَلني القهر ولا أدري ماذا أفعل كي يظهر بيتنا ونظهر نحن؟

أُمّ خالد: اِحمد اللَّهَ بُنيّ على ما أنتَ فيه من نِعَم، ولا تنظر لمَن فُضّلوا عليك ولكنْ انظر إلى مَن هم دونك.

خالد: تُصبحينَ على خيرٍ أُمّي، سأذهب للنوم.

أُمّ خالد: هداك اللَّهُ بُنيّ.

أبا مُحمّد ما بك هذه الليلة؟

خالد لزوجته: لا عليكِ أُمّ مُحمّد، أُفكّرُ في بعض الأمور.

أُمّ مُحمّد: وهل يجوزُ لي أنْ أُشاركك إيّاها؟

خالد: لا أُمّ مُحمّد، لا أُريدُ إتعابُكِ يكفي ما تُلاقيه من الأبناء.

أُمّ مُحمّد: لكَ ما شئت، أتُريدُ منّي شيئًا قبل أنْ أنام؟

خالد: شكرًا حبيبتي، تُصبحينَ على خير.

أُمّ مُحمّد: وأنت من أهل الخير أبا مُحمّد.

كل يومٍ يَكبُر عمّي معبد وتزداد شهرتهُ وعراقتهُ وكذلك عمّي سيف الجميع يُحبّهُ فماذا عنّي؟

ماتَ أبي وتركني مع إخوته الغالين على قلبه، ماذا أفعل كي أشتهر ويُذاع صيتي؟

أأُسايسهم؟

ولكنَّ السياسة معهم لا تُجدي نفعًا، إنْ خاصمتهم وقاطعتهم خسرتُ كُلّ شيء؛ فتسعونَ في المائة من حياتي وأهلُ بيتي قائمٌ على علاقتي بعمّايَّ، إذًا ماذا سأفعل؟

نَعم وجدتُها "فَرِّق تَسُد" سأعملُ على هذا في الخفاء؛ حتّى لا يعلم بأمري أحد.

رَكزّ خالد على العداوة القديمة بين عمّاهُ والتي تكوّنت نتيجة الحقد أيضًا؛ فالحقدُ يُوَرث كما الإرث.

بحثَ خالد عن أعداء عمّاهُ والذين هم بالطبع أعداؤه وخطط معهم لتدمير عمّهِ معبد وهو العم الأكبر لهُ وتركيع عمّهِ سيف وهو الثاني والأكبرُ من أبيه أيضًا.

دَبّرَ خالد مؤامرة ثُلاثية الأطراف باشتراكه فيها مع ألدّ أعدائه وهما هيكل والأسود.

خالد: سَيّدي هيكل أعتذرُ عن أي تجاوزاتٍ في حقّكم من قِبل أبي _رحمهُ اللَّه_ فكما تعلمون كان مُتيّمًا بحبّ إخوتهِ ووحدتُهم.

هيكل: رحمهُ اللَّه، وماذا عنك أنت؟

خالد: أنا مُتكافيءٌ معكم فِكريًا فعمّايّ وبَنِيهم لا يستحقّونَ ما بهم من نِعَم.

الأسود: أهلًا، أهلًا، أهلًا أبا مُحمّد.

هيكل مُقاطعًا: وماذا تُريدُ أنْ نفعل بهم؟

خالد وقد أراحَ ظهرهُ إلى مسند مِقعده: أُريدُ أنْ أراهم أقزام لا تُرى سوى بالعين المُجرّدة، أُريدُهم جياعٌ عُراة، أذلاء خائنون فيما بينهم، وقبل كُلّ هذا أُريدُ هدم بيوتهم الشاهقة كما أنوفهم العالية، وكذا أُريدُ مكانتهم تُسَوَّى بالأرض. الأسود: مرحبًا بك خالد فقد وصلت المكان المناسب في الوقت المناسب!

هيكل: سنفعلُ بهم ضعفَ ما تُريد، ولكنْ يُراودُني سؤال أجبني عليه: لماذا كُلّ هذا وهُم رَحِمُكَ وذويك؟

خالد: لأنَّني أحمُلُ لهم الحِقد والحسد لِعُلُّوِ شأنهم.

اِتفقَ الأسود وهيكل وخالد على تدمير معبد وإذلال بنيه، وإجاعتهم وقتل رجولتهم، وكسر نفوسهم، كما اِتفقوا على إخضاع سيف وبنيه لخالد يفعلُ بهم ما يحلو لهُ.

ظَلَّ خالد يفتكُ بذويه بمعاونة أعدائه حتّى دَّمَّر عمّهُ معبد وأَذَلَّ بَنِيه، وأَخضَعَ عمّهُ سيف لطمَعهِ في بيته، وحَدَثَ لخالد ما كان يرجو؛ فبيوت عمّاهُ قد هُدِمَت ورجولة بَنوهم قد قُتلت، ونفوسهم قد كُسرت وأمتهنوا الخيانة فيما بينهم، وتَسَوَوا بالأرض حقًّا؛ ليُصبح بيت خالد هو القائم على أنقاض بيوت عمّاهُ.

وقد تغير الحال فبعدما كان يعيش خالد في كنف عمّاهُ أصبح بنو عمّومته _الميتون وهُم أحياء _يعيشون على معونة خالد والتي يتفضل بها عليهم _ كما يقول بنوه_كما يسترون بملابس خالد البالية من كثرة استخدامها من قبل، ظلّوا هكذا إلى أنْ حَدَثَ ما لم يكن ببال.

أغثني أبا مُحمّد، وا شرفاااااااه.

خالد مذعورًا: ماذا حدث أُمّ مُحمّد؟

أُمّ مُحمّد: كاد أنْ يَلحق بنا العار لولا...

خالد مُقاطعًا: العار.. ماذا حدث؟

أُمّ مُحمّد: إحدى بناتُك كانتْ تسير في شوارع القرية طلبًا للفُسحة، وأثناء سيرها رأها أحد جنود هيكل والأسود حليفاك فسار وراءها وأوقفها مُهدّدًا إيَّاها بسلاحه _الذي دفعت لهم ثمنهُ _ فوقفت خائفة تَبكي، دفعها الجُنّدي فسقطت على الأرض وصرخت فسمعها ابنُ عمّها سُليمان فقاطعها خالد: سُليمان ابنُ حمزة ابنُ عمّي معبد؟

أُمّ مُحمّد: نعم هو لا غيره، سمعها سُليمان وهو لا يدري إنْ كانتْ ابنةُ عمّه أم لا، فقط أتى على صوت صُراخ امرأة تستغيث لنجدة شرفها، ألقى الجُنّدي الحليف سلاحهُ وقبلَ أنْ يَنقضَّ على ابنتُك انقضَّ عليه سُليمان؛ وأبرحهُ ضربًا وقطع أحد أصابع يده بأسنانه، ثُمَّ تفلهُ على وجهه الخبيث الماكر، ثُمَّ قام إلى ابنتُك فساعدها على القيام وخلع رداءه وسَتَرَها به، وأخرجها أولًا وقبلَ أنْ يخرج هو سقط شهيدًا على الأرض غارقًا في دمائه؛ من كثرة ما أُطلق عليه من رصاص الجُنّدي الحليف، فلمّا رأت ابنتُك هذا المشهد صُرِعَت وإلى الآن تُصرَع.

أراك صُدِمتَ خالد.

خالد: أمات سُليمان؟

أُمّ مُحَمّد: لا تقُلْ مات بل استُشهد وهو يُدافعُ عن عِرضك، أمَّرُ ما في الأمر ليس تحالفك معهم ودفع ثمن أسلحتهم وإبقائهم في قريتنا، أمَّرُ ما في الأمر أنَّ رداء سُليمان والتى تستترُ به ابنتُك إلى الآن هو رداؤك القديم البالي الذي تتفضّل به على بني عمّك وبَنوهم؛ هذا الرداء يكشفُ أكثر ممّا يستر، ولكنْ هذا هو الموجود فلو لسُليمان خيرًا منهُ لستر به ابنتُك، اللومُ عليك أنتَ خالد فلو أعطيتهم ملابسًا جديدة تليقُ بهم لسُتِرَ لحمُ ابنتُك المكشوف بعضهُ الآن.

خالدٌ قد أخطأت في حقّ ذويك حين حقدت عليهم، ومن قبلُ أخطأت في حق نفسك حينَ لم تدع لنفسك فرصة لتُحبّهم كما كانوا هم يُحبّونك، لم يفت الأوان لتُصححَ خطئك ما دُمتَ حيًّا.

أخذ خالد يسترجع ما كانَ بين أبيه وعمّاهُ من وُدٍّ ورحمة ورأفة فيما بينهم واتحادهم على عدوهم وتذكّر قول أبيه لهُ: "أي بُنيّ، عليك أنْ لا تأمن لعدوك مهما غَرَكَ تعامله معك، فهو الخائنُ الغادر الخبيث الماكر، إلزم عمّومتك أطِع أمرهم وكَبّرهم واكبر معهم، واتقي اللَّه في نفسك وفيمَن حولك، وارضى بما قسم اللَّهُ لك تعِش مُطمئنًا مُرتاح البال، خالد أُوصيك بتقوى اللَّه في الأمور كلّها وصِلة رحمي فأحبّهم ووِدّهم ".

لم يتمالك خالد نفسهُ فبكى، وذهب إلى مكان الشهيد؛ حيثُ سُليمان غارقٌ في دمائه!

وصل وما أنْ رأى سُليمان فأنكّبَ عليه باكيًا ومُقبّلًا ومُرتجِلًا:

آهٍ و آهٍ الفُ آهٍ على

مَن جاد عليَّ بروحهِ وتَفَضَلا

حَمى عِرضي وغَطى لحمي

بردائهِ المُهلهلا

سُليمانُ ابني قتلهُ الحليف

الغادرُ الخبيثُ والماكرا

أهلي وددتُ أعدائهم

ووُدّي بهم قد تَقَطَعا

أخطأتُ حينَ تركتُ عَرين قومي

لأحتمي بجُحرٍ لا تَرضى بهِ النّملة مَخبَأَ

ومِن مَن أحتمي من أهلي

مِن مَن أنا منهم لحماً ودَمَا

أهذا ما رُبِيتَ عليه أبا مُحمّدٍ؟

بخٍ بخٍ لكَ خالدا

سُليمانُ ابني لا عدوي

بئسًا لكما هيكلَ وأسودا

بئسًا لي لرضوخي لكما

دمّرتُ أهلي مَقامًا ومَنزلا

آهٍ و آهٍ الفُ آهٍ على

مَن جاد عليَّ بروحهِ وتَفَضَلا

آهٍ و آهٍ الفُ آهٍ على

مَن ضَّحى لأجل عمّهِ الخائنا

آهٍ و آهٍ الفُ آهٍ على

مَن كان يعذرُ عمّهِ الحاقدا

آهٍ و آهٍ الفُ آهٍ على

مَن كان يدعو اللَّهَ أنْ يهدي عمّهِ العاصيا

وداعًا وحُبًّا وشوقًا

للشهيد ذو الوجه المُتهللا

سامحني ابنُ أخي

فقد اتيتُكَ نادمًا مُستسمحا

سلامًا سلامًا ابنُ أخي

اتيتُكَ مُودّعا

فوداعًا وداعًا

سُليمانَ الطيّبا

ربّاهُ يا مَن رفعت بلا عمد السما

يا مَن يسجُدُ لك الشجر والأنجُما

ربّاهُ يا مَن تفرحُ بتوبة عبدك العاصيا

أتيتُ بابك فما مِن

بابٍ في وجهي إلا وقد أُغلقا

إلا بابك ربّي

فدائماً مفتوحاً لا مُغلقا

أتيتُك ربّي عاصيًا مُذنبا

نادمًا أفقتُ مؤخرًا فأصبحتُ الآن مُدركا

أسألك ربّي باسمك التوّاب

أنْ تتوب عليّ وتغفر لي وأنْ تُمتني تائبا

يا ربُّ صَلِّ وسلّم عدد حبات الرمال ومياه الأنهار والبحار والأمطار على سيدنا مُحمّدا.

قام خالد ودفن سُليمان ثُمَّ ذهب إلى عمّاهُ فسلّم عليهما فلم يردا عليه السلام فأنكبَّ على أقدامهما نادمًا مُستسمحًا.

نظر معبد إلى سيف في إشارةٍ منهُ بمسامحة بُنيّهم الصغير ما دام مُعترفًا بخطئه ساعيًا لتصحيحه، أقاماهُ واحتضناهُ معًا ثُمَّ جمَّعوا بَنوهم لوضع خُطة لطرد هيكل وأسود من قريتهم؛ وقد كان.. فذهب خالد إلى الحليفان وألغى إتفاقهِ معهما وأمرهما بالخروج من قريته إلَّا أنَّهما لم يوافقا وكادا يقتلانه برصاصهم؛ حينها ابتعد خالد قليلًا فإذ بالقرية كُلّها خلف ظهره مُتسلحينَ بإيمانهم باللَّهِ مُتحِدينَ.. فَرَّ هيكل وأسود هَارِبَينِ بجنودهما ممّا رأوهُ من قوة أهل القرية.

أعاد خالد الأموال التي جَمَعَها إلى أهلهِ وشارك المهندسين في بناء بيوت عمّاهُ لتُصبح أضخم ممّا كانتْ عليه.

6_ (ليتَ الزمانُ يعودُ يومًا)

ليتَ الزمانُ يعودُ يومًا.. وا ذنباااااه.

عمّار ما بهِ هذا الهَرِم؟

عمّار: هذا الرجل جالسٌ هكذا مُنذُ سنوات، يُردد ما سَمِعتَ طه ثُمَّ يَبكي حتّى ينام!

طه: أَمَا لهُ بيتًا يأويهِ بدلًا من الجلوس على أعتاب المسجد؟

عمّار: بلى، أترى ذلك البيت المُزخرف ذو النوافذ الزجاجية؟

طه: أجل.

عمّار: هو بيته.

طه: ماذا؟

عمّار: تركهُ وجلسَ على أعتاب المسجد.

طه: وهل يُعقل ما تقول؟

عمّار: هذا ما حدث؟

طه: إذًا وراءُ هذا الرجل قِصّة أظُنُّها مُثيرة.

عمّار: ماذا يدورُ برأسكِ طه؟

طه: ستعلم حينَ يفيقُ هذا الرجل.

عمّار: أتعرفهُ؟

طه: لا، ولكنْ أُريدُ أنْ أعرفهُ، إذًا ما اسمه؟

عمّار: اسمه توبة!

طه وقد بدا مُستغربًا: توبة!

عمّار: أجل، عم توبة.

طه: حسنًا، وسنعلمُ ما قِصّةُ هذا الاسم أيضًا.

عمّار: كما تُريدُ ابنُ خالتي.

استيقظَ من نومهِ ليُرددَ: مدد يا صاحب الجود والمدد يا ربّ.

طه ها قد فَاقَ عم توبة.

طه: حسنًا عمّار.

السلامُ عليكم عم توبة ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

وعليكم السلام ورحمةُ اللَّهِ وبركاته بُنيّ.

اسمي طه ابنُ خالة عمّار.

عم توبة مُبتسمًا: مرحبًا بك بُني، عمّار شابٌ صالح لا تفوتهُ صلاةٌ في هذا المسجد.

عمّار: بارك اللَّهُ فيكَ عم توبة.

طه: عم توبة هل لي أنْ أُجالسكَ بعض الوقت؟

عم توبة تَفسَّحَ لهُ: كما تُريد ولدي طه.

عمّار: سأُحضر بعض الطعام فقد حانَ الغداء.

طه: حسنًا فعلت ابنُ خالة.

عم توبة: من أينَ أتيت طه؟

طه: من الأزهر في إجازتي الصيفية ثُمَّ أعودُ بعد اِنقضائها.

عم توبة: على خيرٍ تَعُد بُنيّ.

طه: أكرمك اللَّهُ عم توبة، أُريدُ أنْ أسألكَ عن قولك: ليتَ الزمانُ يعودُ يومًا؟!

عم توبة: نعم ليتَ الزمانُ يعودُ يومًا؛ كي أتُب من فِعالي.

طه: هل لي أنْ أعرفها عم توبة؟

عم توبة بعدما ضربَ كَفّهِ بالأُخرى: سأقُصُّ عليكَ قِصّتي.. كنتُ شابًّا فتّيًا لا أمل لي في الحياة سوى تحقيق رغباتي وإشباع ملذاتي.

خُذي هذا المال كُلّهُ لكِ.

وما المُقابلُ توبة؟

توبة بصوتٍ حنون: أنتِ تسكنينَ قلبي عفاف لذا أُريدُكِ لنفسي.

عفاف: خُذ مالك فلستُ أهلًا لذاك.

توبة: ولِمَ؟

عفاف: لأنَّني لا أُتاجرُ بشرفي فأعصِي ربّي.

توبة: كيف تقولينَ هذا وأنتِ جائعة وفي حاجةٍ للمال؟

عفاف: نعم جائعة، لكنَّني لا آكلُ بفرجي فهذا بغاء؛ واللَّهُ حَرَّمَ علينا البِغاء!

توبة: أعلمُ أنَّكِ تُحبينني فلماذا لا تُمكّنينَّني من نفسكِ؟

عفاف: أمُسلمٌ أنتَ توبة؟

توبة: أجل.

عفاف: أنتَ تفعل ما نهى عنهُ الإسلام فكيف بك من اللَّه؟

توبة: خُذي هذا المال بدون مُقابل.

عفاف: ولِمَ؟

توبة: لتعُفّي نفسكِ من سؤال النّاس.

عفاف: أأعُفَّ نفسي عن الحرامِ بالحرامِ توبة؟؟!!

توبة: ماذا تقولينَ؟

عفاف: أحلالٌ مالُك؟

توبة وقد وَلَّى ذاهبًا: دعيني وشأني.

عفاف: أنا أُحبُّكَ توبة وأُريدُك زوجًا لي وأبًا لأبنائي.

توبة وقد وقفَ مكانهُ: الآنَ إذًا.

عفاف: ليسَ قبل أنْ تَتُب إلى اللَّهِ وتُحلل مالك، وتُبغض ما نهاكَ ربُّكَ عنهُ، وتُحرّم على نفسك ما حَرَّمَ عليك.

غادرَ توبة دونَ رَدٍّ على ما قالت.

مَرّت الأيَّام وتوبة مُنغمسٌ فيما حَرّمَ اللَّهُ عليه حتّى جاءهُ يومٌ غَيَّرَ لهُ حياته.

توبة.. توبة أنقذ شرفك.

توبة بعدما فتح الباب: مَن.. عفاف؟

عفاف مُرتجفة: دعني أدلف.

توبة: تفضّلي، ما الذي أصابكِ؟

عفاف باكية: صاحبُ البيت راودني عن نفسي حينَ لم أتمّكن من دفع الإيجار له.

توبة: وماذا فعلتِ له؟

عفاف: نهرتهُ فلم ينتهي وحاولَ أنْ يَمَسَّ جسدي فدفعتهُ ثُمَّ هرولتُ إليك.

توبة: ألا تخافينَ منّي؟

عفاف: منك أنتَ توبة.. بل على العكس فمعك أجدُ الأمان.

توبة وقد دمعت عيناهُ: إذًا ستنامينَ هُنا خُذي راحتُكِ فإنّي مُغادر.

عفاف: إلى أين؟

توبة: إلى أيّ مكان.

عفاف: بل ستنامُ هُنا.

توبة:ولكن.....

عفاف: لا تَقُل شيئًا، ستنامُ أنتَ هُنا، وسأنامُ أنا في الداخل.

توبة: كما تُريدين.

مَضى شهرٌ على وجود عفاف ببيت توبة، وقد تَغيّرَ لمُجالستهِ إيَّاها؛ فأصبح مُصلّيًا وعاملًا بالحِدادة.

السلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاتهُ عفاف.

وعليكم السلام ورحمةُ اللَّهِ وبركاتهُ توبة.

كيف حالُكِ اليوم؟

عفاف: بخيرٍ والحمدُ للَّه، وأنتَ توبة؟

توبة: بخيرٍ ونعمة فالحمدُ لِلَّه.

عفاف: أجلبتَ لي ما طلبت؟

توبة: أجل، وزدتُ بهذا الورد الأبيض كما رَّوحكِ الطاهرة.

عفاف مُبتسمة: سَلِمت يداك توبة.

توبة: ما الغداءُ اليوم؟

عفاف: ما تُحبّ!

توبة: إذًا ملوخيةٍ خضراء، وأرزٍ بشعيرية، وطاجن بامية بلحم الضأن.

عفاف مُبتسمة: هو ذاك.

توبة أَمَا آن لكَ أنْ تُصبحَ أبًا؟

توبة وقد أوقف تناول طعامه: ماذا قُلتِ للتو؟

عفاف بصوتٍ حانٍ: أَمَا آن لكَ أنْ تُصبحَ أبًا؟

توبة: وهل رضيتِ عنّي تاج رأسي.

عفاف بعدما ربتت على يدهِ بحنان: نعم وأُريدُ بقائي معكَ بقاءً شرعيًا.

توبة فَرِحًا: هل تقصدينَ أنْ.....

عفاف: نعم.. الليلة.

توبة: أحقًّا ما سَمِعَت أُذناي؟!

عفاف: نعم، فأنتَ زوجي مُذ عقدت عليّ حينَ دلفتُ بيتك؛ حتّى لا نقع في موضع شُبهة، ولكَ عليَّ حقٌّ أمام اللَّه، لذا لا أمنعُ عنك نفسي بعد الآن؛ فقد اِستقمت التزمت، ولا بُدَّ لكَ من مُكافأة، إنْ وافقت فالليلة.

توبة بعدما قَبّلَ يدها: أُوافقُ حبيبتي وروحِ قلبي.

مَرّت تلك الليلة على توبة كأفضل ليلةٍ عاشها على الإطلاق؛ إذ حققَ ما يُريد فأرضى ربَّهُ ونفسهُ وحبيبته.

مَرَّ عامان وقد أنجب توبة وعفاف ولداً أسمياهُ عبّاس.

آهٍ.. آهٍ يا عبّاس.

ماذا حَدَثَ لهُ عم توبة؟

توبة: تركني وذهب وأُمّهِ طه.

طه: أينَ ذهبا؟

توبة: سأُكملُ لك...

توبة.. توبة قد أصابت الحُمَّى عبّاس.

أعطينيهِ لأذهبَ بهِ إلى الطبيب ليفحصه.

عفاف: هل سآتي معك؟

توبة: لا، ليسَ لديّ وقتٌ لأنتظركِ.

أسرعَ إلى عيادة الطبيب فدلفَ دونَ إذنٍ من المُساعد.

حضرة الطبيب عبّاسٌ أصابتهُ الحُمَّى.

الطبيب وقد نَهَضَ من مِقعدهِ: اهدأ قليلًا أبا عبّاس.

ثُمَّ فحصهُ ونظر لتوبة قائلًا: إنَّ اللَّهَ إذا أحبَّ عبدًا إبتلاهُ.

توبة: نعم، ولكنْ ماذا يعني هذا الكلام؟

الطبيب: قد أُصيبَ عبّاس بمرضٍ نادر، ولا علاج لهُ إلى الآن.

توبة: ماذا؟.. وبماذا أُصيب؟

الطبيب: أُصيبَ بمرضٍ يُسمونهُ بالسرطان، وهو مرضٌ نادرٌ هذهِ الأيّام.

توبة باكيًا: لم أشبع منهُ بعد.

الطبيب بعدما ربت على كتفه: دع أمرك لِلَّه فهو المُدّبر لكُلِّ أمر.

توبة: رَضِيتُ بقضاءِ اللَّه، حضرة الطبيب هل هُناكَ علاجٌ في غير مصر؟

الطبيب: نعم، يقولون بأنَّ أحد العُلماء في بريطانيا يستعدّ لتجربة دوائهِ على فئران التجارب؛ فإنْ صَّحَ فسيكونُ ببريطانيا فقط.

توبة: الحمدُ لِلَّهِ على كُلِّ حال.

عَادَ لبيتهِ شارد الذهن ممّا أقلقَ عفاف وجعلها تسألُه: توبة.. توبة ما بهِ عبّاس؟

لا شيء سوى العافية عفاف.

عفاف بعدما حملتهُ عنهُ: إذًا ما بك أنتَ حبيبي؟

توبة: لا شيء حبيبتي، سأذهب للعمل أتُريدينَ شيئًا؟

عفاف: سلامتُكَ أُريد.

مَرّت الأيّام وتَمَّ الإعلان عن إكتشاف علاجٍ للسرطان ولكنَّهُ ببريطانيا فقط.

الحمدُ لِلَّهِ على إيجاد العلاج فقد بلغَ عبّاس الرابعة ولازالَ ضعيف البِنية نحيل البدن، سأُعالجهُ حتّى في بريطانيا؛ ولكنْ من أينَ لي بالمال؟

رشدي أُريدُك بموضوعٍ هام.

رشدي: تفضّل توبة فنحنُ صديقان.

توبة بعدما قَصَّ عليهِ ما حَدَثَ لابنه.. والآن أُريدُ مالًا كثيرًا، فهل ستُعيرُني ما أُريد؟

رشدي: لا تَقُل هذافمالي هو مالك، ولكنْ للأسف قد تأخرت؛ فقد أعطيتُ آخر ما أملك من مالٍ لعطّارٍ كمقدم شراكة بيننا فسامِحني.

توبة: لا عليك رشدي.

الأيّامُ تمضي وتوبة لم يُدّبر المال، وقد اِزدادت حالة عبّاس سوءًا؛ حتّى أصبح طريح الفِراش وأُمّهُ بجوارهِ تَبكيه.

لَعِبَ الشيطان دورهُ في الوسوسة لتوبة بأنْ يسرق ما يُعالج به عبَّاس، ثُمَّ يُعد ما سرقَ حينَ يجمعهُ من عمله، فذهب لإحدى العمائر في أرقى أحياء القاهرة سرق معظم الشُقق وخرجَ بمالٍ ومصاغٍ ذهبية ، بَنى بيتهُ وزخرفهُ ثُمَّ استعدّ ليذهب بعبّاس إلى بريطانيا ليُعالجهُ بعدما أرسل إلى المُستشفى المال فحدثت المفاجأة؛ مَاتَ عبّاس صباح يوم السفر، وضَاعَ عليه السفر والمال.

ظلّت عفاف تَبكي على ولدها حتّى لَحِقَت بهِ بعد شهرٍ من موته، وبَقِيَ توبة وحيدًا كما كانَ سابقًا.

فتركَ البيت ولم يدخلهُ، وظلَّ يعمل حتّى جَمَعَ ما سرق، ثُمَّ تصدق بهِ عن مَن سرقهم؛ ثُمَّ جلسَ على أعتاب المسجد بعدما هَرِمَ نادمًا على ما فعل، كل مُناهُ أنْ يعود الزمانُ يومًا ليرضى بقضاء اللَّهِ وقدرهِ فلا يسرق رزقُ غيره.

طه: آهٍ ثُمَّ آهٍ عليكَ عم توبة.

توبة: ليتَ الزمانُ يعودُ يومًا ثُمَّ بَكى ونام.

7_ (بنو امرأة)

مُرشدي أينَ أُمُّك؟

لم تأتِ بعدُ جدّتي.

الجدّة: وأينَ أخويك؟

مُرشدي: أحدهما في البِقالة والآخر يَرعى غنم الحاج حامد.

الجدّة: وهل أنهيت عملك الذي طلبتُهُ منك؟

مُرشدي: نعم جدّتي، فقد أعددتُ طعام الطيور ووضعتهُ لهم، ولم أنسى وضع الماء كما حَدَثَ سابقًا.

الجدّة: أحسنتَ بُنيّ.

السلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

وعليكم السلام ورحمةُ اللَّهِ وبركاته، لماذا تأخرتِ أُمّ يونس؟

ولمَ تبكين؟

أُمّ يونس: تأخرتُ لتأخر الفَالوكة، وأَبكي لكسر البيض منّي دونَ قصدي.

الجدّة غاضبة: ماذا تقولينَ أنتِ؟.. يا اللَّه.

أُمّ يونس: لا تحزني أُمّي، فواللَّهِ حَدَثَ ما حَدَثَ رُغمًا عنّي.

الجدّة: لا دخلَ لي بهذا، كيف أُصدقُكِ؟!

أُمّ يونس: ماذا تقصدينَ حماتي أُمّ صِدّيق؟

أُمّ صدّيق: تعودينَ إلى حيثُ جئتِ وتأتيني بقشر البيض؟!!

أُمّ يونس: حماتي باللَّهِ عليكِ، فالطريق طويل والشَّمس مُحرقة و....

أُمّ صدّيق مُقاطعةً: إفعلي ما أمرتُكِ بهِ وإلَّا غَضِبتُ عليكِ.

ذهبت أُمّ يونس إلى حيثُ جاءت؛ لتجمع لحماتها قشر البيض.

أُختي هَلّاَ امتطيتِ هذه الدابة معي؟

شكرًا لك أخي.

ولكنَّ الطريق طويل ولا أحد هُنا.

قُلتُ لكَ شكرًا.

كما تُريدين.

إلى متى ستظلينَ هكذا مُرضِيّة، فمذ مَات صدّيق وأنا أحملُ عبء البيت على عَضُداي، ولم أهنأ بعد، حتّى حماتي لم تُقدّر ما أنا فيه، فقط إذهبي أُمّ يونس، عودي أُمّ يونس.

وبعدَ نصف ساعة.

ما هذا القشر أُمّي؟

قشرُ البيض الذي كُسِرَ؛ كي تُصّدقني جدّتُك يونس!

يونس وقد ربت على كتفِها: لا تحزني أُمّي فواللَّهِ لينصرنَّكِ اللَّه.

أُمّ يونس: سَلّمتُ أمورى لِلَّهِ بُنيّ.

يونس: إذًا فلن يُضيّعكِ.

السلامُ عليكم أُمّي، هذا هو القشر الذي طلبتِ!

أُمّ صدّيق: وعليكمُ السلام ابنتي، لا تحزني فما فعلتُ ذلك إلَّا لأُعلّمكِ كيف تُحافظينَ على ما يُوكلُ إليكِ فعلهُ، ولتكوني قادرة على إيجاد حلول لِمِثل هذه المواقف فسامحيني أُمّ يونس، ثُمَّ عانقتها.

أُمّ يونس بعينٍ مُدمعةٍ: سامحتُكِ أُمّي.

أُمّي.. جدّتي قد جمعتُ بيض الدجاج لهذا اليوم فلتنظرا كم هو كثير.

أُمّ صدّيق: ما شاء اللَّهُ لا قوة إلَّا باللَّه.

أُمّ يونس: ألا هل بَرَّكتَ بُنيّ؟

مُرشدي: بارك اللَّهُ لنا فيما رزقنا.

أُمّ صدّيق: إذهب ليونس وأعطهِ هذا البيض وأخبرهُ بأنَّ دُفعة البيض التي اِنتظرناها لم تأتِ بعد؛ فاجعلهُ يُسَّجِل هذا بدفتر البِقالة.

مُرشدي: حسنًا جدّتي.

جدّتي هذا ما أعطانيهِ الحاج حامد نظير رعيي لغنمهِ هذا اليوم.

حسنًا ماجد أعطي هذا التمر لأمك.

ماجد: حسنًا جدّتي.

مَرّت الأيَّام وكَبُرَ الأبناء وأصبحت أُمّ يونس هي المسؤول الأول والأخير عن البيت بعد وفاة حماتها أُمّ صدّيق.

يونس ضع هذهِ البقوليات في البِقالة بجانب الفول السوداني، ولا تدع السُكّر دون غِطاء فالنملُ كثيرٌ هذهِ الأيَّام، وأَبعِد صفائح الجاز الأبيض (الكيروسين) عن صفائح الزيت.

يونس: حسنًا أمي.

أُمّ يونس: مُرشدي أين حصيلة اليوم من مزرعة الطيور؟

مُرشدي: ها هيَ أُمّي، هذا بيضُ الدجاج وهذا بيضُ البط وهذا بيضُ الإوَّز.

أُمّ يونس: أسمعت يونس؟.. خُذ هذا البيض وسَّجِل لي ما سمعتهُ في دفتر البِقالة.

يونس: سأفعل أُمّي.

أُمّ يونس: ماجد كيف حال أغنامنا؟

ماجد: بخيرٍ أُمّي، فالخِرافُ زائدٌ وزنُها، والماعزُ مليءٌ ضرعُها؛ وقد أعددنا الجُبن والسمن والقشدة كما أمرتِ.

أُمّ يونس: حسنًا، كُن على اِستعداد فالتاجر صموئيل سيأتينا في الصباح ليبتاع بضائعنا.

ماجد: مُستعدٌ من الآن أُمّي.

مَرَّ عامٌ وقد توسعت تجارة أُمّ يونس لتُصبح تاجرة معروفة في قريتها والقُرى المُجاورة.

يونس.. ماجد.. مُرشدي فلذاتي، أُريدُ أنْ أفرح بكم فقد شاخت مُرضِيّة!

يونس: زادكِ اللَّهُ عُمرًا وصحةً أُمّي.

ماجد: يكفينا وجودكِ بحياتنا فهذا أعظمُ الفرح.

مُرشدي:روما الفرحُ إلَّاكِ أُمّ يونس؟

أُمّ يونس: بارك اللَّهُ لي فيكم رجالي الأعزّاء، قد خطبتُ لكم من خالاتيكُما وخالكم فما رأيكم؟

يونس: الرأيُ لكِ أُمّ يونس.

ماجد: كما تُريدينَ أُمّي.

مُرشدي فَرِحًا: حسنًا فعلتِ أُمّي.

أُمّ يونس: يونس خطبتُ لك سيّدة بنتُ خالتُك سعدية، ماجد خطبتُ لك عايدة بنتُ خالك زكريا، مُرشدي خطبتُ لك فائزة بنتُ خالتك نجاح، أموافقونَ أم ماذا؟

رَدّوا في صوتٍ واحد: يُرضينا ما أخترتِ أُمّ يونس.

أُمّ يونس: حسنًا إذًا، فلتستعدّوا فَيوم عُرسكم سيكون الخميس الموافق السابع عشر من إبريل لهذا العام، عام ألف وتسعمائة وثمانية وستون.

يونس: إذًا بعد شهرٍ من الآن.

ماجد: هذا جيّد لنستعدّ إذًا.

مُرشدي: حسنًا.

مَضى الشهر وجاء العُرس، عُرس بنو مُرضِيّة كما يشتهرون في قريتهم.

أُمّي لماذا تبكينَ؟

أُمّ يونس: أبكي فرحًا فلم أُصّدق أنّي سأسعد وأرى عُرسكم من كثرة ما لاقيتُ من أسى ونَصَب وفقر، ولكنْ الحمد لِلَّهِ الذي أبدل فقرنا غنًا وحزننا فرحًا وبُكاءنا ضحكًا وأَلَمِنَا راحة ثُمَّ قَبّلتهم وقبّلوها، وصعدوا الطابق العلوي، منتظرين قدوم النسوة بزوجاتهم كُلٌّ في غُرفتهِ.

8_ (فاطمة الأمينة)

أشرقت الشمس لتُعلنَ قدوم يومٍ جديد، خرجت العصافير من عُشّها لتُغرّد فوقَ الأغصان، ضَجّت القرية بأصواتٍ مختلطة ما بينَ إنسٍ وماشية.. تناولت فاطمة الإفطار مع أُمّها وإخوتها ثُمَّ ذهبوا إلى المدرسة الإبتدائية حاملينَ كُتبهم في حقائبٍ من القِماش، أخاطتها لهم أُمّهم لعدم تَمكُّنها من شراء حقائب جاهزة، أخذوا يتحدّثون طِيلة الطريق حتّى وصلوا لبائعة الطعام؛ أخرجوا مصروفهم الزهيد ليبتاعوا بهِ بعض الخُبز ورُّبما القليل من شرائح الطماطم _ليتناولونَّهُ بالفُسحة نظرًا لغلاء طعام المدرسة_ أثناء ذلك تنبهت فاطمة لشيءٍ تحت قدمها، طأطأت رأسها لتَرى ثُمَّ التقطتهُ.. حافظة نقود مليئة عن آخرها حتّى أنَّ بعض النقود خارجٌ منها، هَمَسَت لإخوتها الأربعة فحملقوا بها لكثرة ما بها من نقود، ثُمَّ مَدّت يدها بحافظة النقود للبائعة قائلة:عمّة أهذهِ لكِ؟

حملقت البائعة بها وأخذتها فدَستّها بدرعها دونَ أن تنبس بكلمة.. أيُّ كلمة.

أخذوا الخُبز وبعض شرائح الطماطم وأكملوا سيرهم.. ثُمَّ أخذوا يُلقونَ اللومَ على فاطمة، فكيف لها أن تتصرف هكذا وهم أحوج ما يكونوا إلى جُنيهٍ واحد لا الكثير من الورق ذو فئات الخمسين والمائة والعشرين والعشر والخمس جُنيهات، أخذت فاطمة توضح لهم فلم يُنصتوا لها،

ثُمَّ غَضبوا منها لأنَّها أعطت الحافظة للبائعة والتي أثارت شكّهم فيها بتسرعها في دَسّها دونَ أن تتفقدها.

وَصلوا المدرسة ودلفَ كُلٌّ منهم فصله بعد طابور الصباح ومُمارسة بعض التمارين الرياضية. جلست فاطمة بمقعدها الأخير في صفِّ البنات، وضعت حقيبتها أمامها على الطاولة، ثُمَّ وضعت يدها على وجنتها وأخذت تُفكّر بكلام إخوتها.. إخوتي معهم حقّ في غضبهم منّي؛ فأُمّي قد تَعِبَت من حَمل المسؤولية دونَ شريكٍ أو مُعينٍ بعدما مات أبي _رَحِمَهُ اللَّه_ فلم يزل صوت أنينها وبُكائها أثناء تضرعها للَّهِ عالقاً في ذهني، كما لا يزال صوتها المقهور _حينَ طلب أُخيّ منها أن تَكسوهُ قميصاً كسائر زملائه _يُقطّعُ داخلي، ولكن ما فعلتهُ اليوم يُعبّر عن صدق أمانتي لأُمّي؛ وهو أن أُحافظ على ما زرعتهُ فيَّا مُنذُ نعومة أظافري، كما أنَّني لا أتنازلُ عن مبدأئي لقضاءِ حاجتي، وكما علّمتني أُمّي مَن تجرع الصبر أحيَّاهُ عزيزًا، ثُمَّ انتبهت لصوت زميلتها سعاد تُخبرها بأنَّ المُعلّمة حنان قد حضرت.

اِنقضى اليوم الدراسي وتَجَمَّعَ الإخوة ثُمَّ ذهبوا عائدينَ إلى البيت دونَ أن يتحدّثوا على غيرِ عادتهم.

بيتٌ صغير مبنيٍ من الطوب بأرضيةٍ تُرابية، وطُلمبة مياه ودورة مياه بدائية، تتوسطهُ صالة صغيرة تقدمها غُرفة نوم وتخلفها أُخرى،

بالإضافة لمَندرةٍ لا تزيد عن الصالة سوى مترين، بابه عتيق مصنوع من جذع الشجر وبهِ بعض الشقوق.

وضعت عزيزة الطعام على صينيةٍ متوسطة ووضعتهُ على طاولةٍ صغيرة مُتهالكة بالصالة، سَمِعت طرق الباب، فتحت ورَدّت التحيّة على أبنائها.. ثُمَّ سألتهم عن سبب عبوس وجوههم بهذا الشكل؟

لم يُجيبوا ودلفوا غُرفتهم لتبديل ملابسهم.

بدّلوا ملابسهم وصَلّوا ظُهرهم وجلسوا لتناول الطعام.

وبعد دقائق.. فاطمة دعكِ من الصينية فسأحملُها أنا، والآن لتُخبريني عمّا حَدَثَ؟

وضعت الصينية على الطاولة وجلست أرضاً مع أُمّها ثُمَّ أخبرتها وأضافت: ولهذا فإخوتي غاضبونَ منّي أُمّي.

قَبّلتها الأُمّ وتبسمت لها ثُمَّ أضافت: حسنًا فعلتِ فاطمة الأمينة، فنعمَ البنتُ أنتِ، ولو أنَّكِ فعلتِ غير ذلك لغضبتُ عليكِ، ثُمَّ نادت أولادها فجاءوها وجلسوا بجوارها لتُحدّثهم قائلة: أغضبكم فِعلُ فاطمة وهو الصواب، ولو أنَّها فعلت العكس لرضيتم فلذات عزيزة؟

نَظَرَ بعضهم لبعضٍ قبل أن يقولَ قائلهم: ولكنَّها أخطأت أُمّي فمَن أدراها أنَّ بائعة الطعام هي صاحبة النقود؟

رَدَّت بعصبية: هي لم تُخطئ فقد رأت أنَّ أقرب مكانٍ للحافظة هو نافذة بائعة الطعام لذا سألتها وقدّمت لها النقود، فإن كانت النقود لها فالأجرُ لفاطمة وإن كانت قد أخذت ما ليس بحقّها فالوزرُ لها والأجرُ لفاطمة أيضًا، ثُمَّ كفكفت دمع بُنيّتيها وقَبّلت جبينها، والتفتت لأولادها لتُضيف: أمَّا أنتم فقد وخزتم قلبي بغضبكم من أُختكم وأشعرتموني بأنَّني لم أكفيكم مَؤونة و....

قاطعوها ببكائهم على قدميها وقَبّلوا رأسها ويُمناها وأخذوا يستسمحوها حتّى سامحتهم.

اِعتذروا لفاطمة وقَبّلوها قائلينَ بصوتٍ واحد: فنِعْمَ البنتُ فاطمة ولنِعْمَ الأمينةُ هي.

تبسمت لهم قائلة: ونِعْمَ الإخوةُ أنتم أشقاء قلبي.

مريم توركان